اسم المادة: مبادة علم الرجال أ. م. د. كهلان حسن علي

نشأة علم الطبقات وتطوره وفائدته

تقسيم تراجم الرواة على الطبقات تقسيم إسلامي أصيل، والأصل فيه:

ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ... الحديث. (رواه البخاري في فضائل الصحابة، الفتح (٧ / ٣) ح ٣٦٥٠).

وقد نشأ هذا العلم وتطور على أيدي علماء الحديث منذ القرن الثاني الهجري، ولم يقتصر فيه على تقسيم الرواة على الطبقات بحسب لقائهم للشيوخ، سواء كان عاما بمعنى الجيل أو القرن كما فعل كل من: – بحشل الواسطي (ت ٢٩٢ هـ) في "تاريخ واسط".

٢– أبو حاتم بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) في كتابيه "الثقات" و "مشاهير علماء الأمصار".

٣– أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) في "تاريخ نيسابور".

حيث جعل هؤلاء الرواة على أربع طبقات: الصحابة، التابعون، أتباع التابعين، تبع الأتباع.

أو كان بصورة أدق في التقسيم كما فعل كل من:

١– محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) في "طبقاته الكبرى".

٢– خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ) في "طبقاته".

٣- أبو عبد الله الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث".

حيث قسم هؤلاء الرواة إلى عدة طبقات بحسب لقائهم للشيوخ لكن بصورة أدق، فمثلا من لقي كبار الصحابة من التابعين يعد طبقة أولى، ومن لقي من دونهم يعد طبقة ثانية، ومن لقي صغارهم يعد طبقة ثالثة، وهكذا.

لم يقتصر المحدثون على تقسيم الرواة بحسب الشيوخ بل تطور استعماله عند علماء الحديث إلى معان أخرى كالفضل والسابقة كما في الصحابة أو الحال والمنزلة كما تقدم ذكر ذلك في كلام عباس الدوري، وكل هذه التقسيمات يشملها معنى الطبقة في لسان العرب، كما سبق الإشارة إلى ذلك في التعريف.

وقد استمر التأليف على الطبقات يتسع ويتطور حتى نهاية القرن التاسع الهجري.

كما امتد استعمال نظام الطبقات إلى كتب التراجم الأخرى:

كـ "طبقات القراء" لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) ، و "طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، و "طبقات الصوفية" لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، و "طبقات فحول الشعراء" لمحمد سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) ، و "طبقات النحويين" لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) وغير ذلك.

فائدة معرفة علم الطبقات:

قال الحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) :

"ومن المهمات معرفة طبقات الرواة، فإنه قد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما الآخر فيتميز ذلك بمعرفة طبقتهما إن كانا من طبقتين، فإن كانا من طبقة واحدة فربما أشكل الأمر، وربما عرف ذلك بمن فوقه أو دونه من الرواة، فربما كان أحد المتفقين في الاسم لا يروي عمن روى عنه الآخر، فإن اشتركا في الراوي الأعلى

وفيمن روى عنهما فالإشكال حينئذ أشد، وإنما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة، ويعرف كون الراويين أو الرواة من طبقة واحدة بتقاربهم في السن وفي الشيوخ الآخذين عنهم، إما بكون شيوخ هذا هم شيوخ هذا أو تقارب شيوخ هذا من شيوخ هذا في الأخذ، وبسبب الجهل بمعرفة الطبقات غلط غير واحد من المصنفين، فربما ظن راويا راويا آخر غيره، وربما أدخل راويا في غير طبقته". (شرح التبصرة والتذكرة (٣ / ٢٧٤ – ٢٧٥))

وقال الحافظ السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) :

"وفائدته الأمن من تداخل المشتبهين كالمتفقين في اسم أو كنية أو نحو ذلك، وإمكان الاطلاع على تبيين التدليس والوقوف على حقيقة المراد من العنعنة لمعرفة الحديث المرسل أو المنقطع وتمييزه عن الحديث المسند، وبينه وبين التأريخ عموم وخصوص وجهي، فيجتمعان في التعريف بالرواة وينفرد التأريخ بالحوادث والطبقات بما إذا كان في البدريين مثلا من تأخرت وفاته عمن لم يشهدها لاستلزامه تقديم المتأخر الوفاة". (فتح المغيث (٤ / ٣٩٤) ، الإعلان بالتوبيخ (ص: ٤٦) ، وانظر: نزهة النظر (ص: ٦٨)) .